

الدعوة الإسلامية

نهدف سنوية لحكمة تفهم بالبحر والدراسات الإسلامية والتربية

في هذا العدد

• مسبل النهوض بالأمة الإسلامية في القرآن الكريم

• مصدر التلقي المعرفي لدى الشيعة الإمامية المعاصرين وعلاقته بالقدامى

• العنف الأسري وعلاجه في القرآن الكريم

• التضمين في النظم القرآني (دراسة بلاغية في أسرار حروف الجر)

• التسوية السلمية للمنازعات الدولية في القانون الدولي والشرعية الإسلامية

• دور الزكاة في التنمية الاقتصادية

• أبو بكر بن أبي شيبة (ت 235 هـ) شخصية حديثة

السنة الهادية عشرة العدد 1 1435 هـ/2014م

AL - Z A H R Ä '

الزَّهْرَاءُ

نصف سنوية محكمة تصدر عن كلية الدراسات الإسلامية والعربية
بجامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا، تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية والعربية

A refereed academic twice yearly, published by Faculty of Islamic and Arabic Studies,
the State Islamic University (UIN) Syarif Hidayatullah Jakarta,
and concerned with Islamic and Arabic research and studies

السنة الحادية عشرة، العدد 1، 1435 هـ/2014 م Volume 11, No 1, 1435 H/2014 M

رئيس التحرير

أحمدين أحمد طهار

سكرتير التحرير

محمد خير المستغفرين

منفذو التحرير

إمام سوجوكو أحمدي عثمان

هيئة التحرير

حمكا حسن

ويلي أوكتافيانو

عثمان شهاب

التوزيع والنسويق

محمد غوروه

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير:

Fakultas Dirasat Islamiyah Universitas Islam Negeri (UIN) Syarif Hidayatullah,
Jl. Ir. Juanda No. 95 Ciputat Jakarta 15412 Indonesia

العنوان الإلكتروني:

fdiazhar_uinjkt@yahoo.com

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت:

www.fdi.uinjkt.ac.id

المحتوى

❦ حديقة الزهراء

سبل النهوض بالأمة الإسلامية في القرآن الكريم

5 أحمد قشيري سهيل

❦ البحوث والدراسات

مصدر التلقي المعرفي لدى الشيعة الإمامية المعاصرين وعلاقته بالقدامى

15 خالد مصلىح

العنف الأسري وعلاجه في القرآن الكريم

24 أحمددين أحمد طهار

التضمين في النظم القرآني (دراسة بلاغية في أسرار حروف الجر)

42 هنيئة مختار

التسوية السلمية للمنازعات الدولية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية

53 رحمت أذى يولينطو

دور الزكاة في التنمية الاقتصادية

66 جمال الدين أحمد خالتي

أبو بكر بن أبي شيبة (ت 235 هـ) شخصية حديثة

78 محمد خير المستغفرين

التضمين في النظم القرآني (دراسة بلاغية في أسرار حروف الجر)

هنيئة مختار

Fakultas Dakwah dan Komunikasi, Universitas Islam Negeri (UIN) Alauddin Makassar, Jl. Sultan Alauddin No. 63 Makassar (Kampus 1), Jl. Sultan Alauddin No. 36 Samata Kab. Gowa (Kampus 2) Sulawesi Selatan, Indonesia

Abstract

The research concludes that the concept of *al-taḍmīn* in *balāghah* can provide deep meaning to a verse of the Quran. Some examples mentioned on this paper in using letter *jar*, like in surah al-Baqarah/2: 76, word "*Khala*" connected with letter "*ila*", which is supposed to connect with "*bi*"; word "*aḥsana*" connected with letter "*bi*", which is should be connected with "*ilā*" (al-Qaṣaṣ/28: 77); word "*Maṣā*" connected with letter "*fi*" which is should be connected with "*alā*" (al-Isra/17: 37). The paper reveals that the above usage is more appropriate, because it can describe the true meaning. The method of this paper is based on the content analyses. Referring to the classical references of *Naḥw* and *Balāghah*, and the critical reading is a privilege of this paper.

Key Word: دراسة بلاغية (inclusion), أسرار حروف الجر (secrets of letter *jar*), (rhetoric study).

القرآن الكريم زاخر بالأسرار في أساليبها وحروف المعاني التي استخدمها. فلحروف لها دور مهم في أداء المعاني وتغيير معاني الفعل والاسم باختلاف الحروف الواصلة بهما. ومن اختلاف الحروف في تعدي الفعل عده علماء اللغة بالتضمين وهو إشراب لفظ معنى آخر وإعطاء حكمه أو إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز. واشترط شروطا ثلاثة للتضمين، وهي تحقق المناسبة بين الفعلين، ووجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر، وأن يكون هناك غرض بلاغي يهدف إليه، وتلك هي شروط كل مجاز. وإيثار حرف من حروف الجر في وصلها بالأفعال أسرار وأغراض، فلا يكفي أن يقال بتضمين الفعل معنى آخر قط بل لا بد من الغوص في إعجاز القرآن الكريم في أسرار اختياره للحرف الذي لا يتعدى به عادة، فليست للتضمين قدرة وافية في اكتشاف ما وراءها من أسرار التعبير، فلكل حرف موضعها الأليق ولكل مقام مقال.

إن من نعم الله تعالى على الإنسان أن يعيش مع القرآن، وأن يصبر على دراسته، فهو صبور لمن يصبر معه، معطاء لمن يعطيه من وقته وجهده، وكفي الإنسان أنه يتعامل مع كلام الله تعالى، فهو الذي يفتح القلوب، وينير العقول لفهم مراده من كلامه، إذ العمل مع القرآن عمل مع واحة خصبة مذخورة بأبكار الأفكار، واحة في حاجة إلى رجال يصلون الليل بالنهار، يبحثون في تربتها الخصبة، فيغرسون الغرس، فينمو ويستوي حتى يعجب الزرّاع، فيحصدون لأنفسهم ولأمتهم على مر الأزمنة.

وحين يتعامل الباحث مع القرآن فإنما يتعامل مع الكلام المعجز الذي لا يقال فيه إلا المقبول، إذ إنه ليس بشعر حتى يقبل أو يرفض، ولهذا كان العمل مع القرآن عملا صعبا، ولولا توفيق الله تعالى للباحثين

لزلت أقدامهم.

وإذا كان البحث في الطبيعة - مثلاً - يزيدنا يقيناً بأنها كتاب "لم تنكشف منه إلا سطور في صفحته الأولى، وكذلك الكون والنفس، فإنه يقال مثل هذا في آيات القرآن، لأن اليد التي صاغت هذه الطبيعة، وهذا الكون، وهذه النفس هي اليد التي صاغت هذا القول الحكيم، فالطبيعة والكون والنفس قرآن صامت، والمصحف كون ينطق بالحق المبين"¹.

إن في هذا القرآن سرّاً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها، إنه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل من التعبير، وأن هنالك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن، يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً.

فالقرآن زاخر بالأسرار في أساليبها وحروف المعاني التي استخدمها. فالحروف لها دور مهم في أداء المعاني وتغيير معاني الفعل والاسم باختلاف الحروف الواصلة بهما. فمن منطلق هذه الأهمية، قدم الحسن بن قاسم المرادي كتابه "الجني الداني في حروف المعاني" بقوله: "فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه، مبينا أكثرها على معاني حروفهن صرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلتها، وتيسر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها، وبعد غورها، فعزت على الأذهان معانيها، وأبت الأذعان إلا لمن يعانيتها"². يريد من هذا الكلام الكشف عن أهمية الحروف ودورها في إبراز المقاصد والأغراض، وتوقف دلالات النظم وأسراره على إدراك معاني الحروف والتسمع لوسوستها، والتنبيه إلى ضرورة المكابدة والمعاناة في استجلاء معانيها وأسرارها.

وحسبنا أن نعلم كيف يغير الحرف معنى ما تعلق به، ويقلب دلالاته إلى النقيض منها، حتى يصير للفظ الواحد - فعلاً كان أو اسماً - أكثر من معنى حسب الحرف الواصل له. فهذا الفعل (رغب) يتعدى إلى، وفي، وعن، والباء، ومع كل حرف يتعدى به تتجدد له دلالة غير دلالاته مع الحرف الآخر. يقول الراغب: "أصل الرغبة: السعة في الشيء، يقال: رغب الشيء أي اتسع، وحوض رغب، وفلان رغب الجوف، وفرس رغب العدو، والرغبة والرغبي: السعة في الإرادة، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ۗ ﴾ [الأنبياء: 90]. وإذا قيل: رغب فيه، وإليه، يقتضي الحرص عليه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ ۗ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ۗ ﴾ [التوبة: 59]. وإذا قيل: رغب عنه، اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه، نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ۗ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۗ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [البقرة: 130]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلَّمْنَا إِبْرَاهِيمَ لَمَّا كَانَتْ أُمَّةً لَمَّا جَاءَكَ وَأَخْبَرْتَهُ بِأَنْ يَكْفُرَ بِمَا كَفَرَ وَكَانَ مِنَ الْمُنْكَرِينَ ۗ وَتَلَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَمَّا حَضَرُوهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأَهُلُّ عِيَالِهِ خَسِبًا ۗ وَتَلَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَمَّا حَضَرُوهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأَهُلُّ عِيَالِهِ خَسِبًا ۗ وَتَلَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَمَّا حَضَرُوهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأَهُلُّ عِيَالِهِ خَسِبًا ۗ ﴾ [البقرة: 130]، وفي قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ وَلَا يَطُورُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَبِيلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَلِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [التوبة: 120]، يفسر الزمخشري الرغبة بما يفيد الضن والبخل⁴.

فكيف أفاد فعل الرغبة كل هذه المعاني المختلفة التي وصلت إلى حد التناقض بينها؟ إنها الحروف، بما تخلعه من معانيها على معاني متعلقاتها وأثر الارتباط بين الحرف وما وصل به. فهو حين عدى إلى المرغوب بـ "في" الظرفية التي تقتضي أن المرغوب احتوى الرغبة كما يحتوي الطرف على المظروف، أنبأ ذلك عن معنى الحرص، وكأنه أفرغ كل رغبته فيه. وحين عدى بـ "إلى" التي تدل على انتهاء الغاية، أفاد انصراف الراغب إلى مرغوبه وتوجهه إليه وانصرافه عما عداه. وحين عدى بحرف المجاوزة "عن"، دل بما اكتسبه من معنى هذا الحرف على الانصراف عن الشيء وتجاوزه. وحين عدى بالباء التي تفيد الإصاق دل على الضن والبخل بها، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾، لأن إصاق الرغبة بالأنفس يدل على شدة الارتباط بها وعدم التفريط فيها.

هذه اللطائف التي تعرض للنظم بسبب الحروف، هي التي جعلت المراحي وغيره يبنهون إلى خطر درسها والاحتياج إلى الصبر في التقاط شواردها. فالأمر يزداد صعوبة حين يتعدى الفعل بحرف ليس من شأنه أن يتعدى به. وقد كان ابن جني رحمه الله تعالى أقرب اللغويين إلى الحس البلاغي وإدراك أسرار الحروف حين لفت النظر إلى وجوب توخي أغراض النظم، وتفهم الأحوال والدواعي وراء العدول من تعدية فعل بحرفه الواصل له إلى آخر ليس من شأنه أن يعدى به⁵.

ففي قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [البقرة: 187] يكون "الرفث" يتعدى بـ "إلى". رغم أن حرف الانتهاء لا يمتنع دخوله على النساء ولكن يمتنع أن يتعدى بـ "إلى". فابن جني يلجأ إلى التأول في الفعل "وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدي أفضيت بـ "إلى"، كقولك: أفضيت إلى المرأة جئت بت "إلى" مع الرفث، إيدانا وإشعارا أنه بمعناه⁶ وكذلك الزمخشري لا يختلف مع ابن جني إلا في إطلاق لفظ التضمين عليه "فإن قلت: لم عدى الرفث بـ "إلى"، قلت: لتضمينه معنى الإفضاء"⁷.

والتضمين قد راق لحذاق العربية وفقهائها وعد من محاسن اللغة وبدائع الإيجاز فيها ولكن هل يكون كذلك دائما في كل المواطن؟ يقول ابن القيم: "إن الفعل المعدى بالحروف المتعددة لا بد أن يكون له مع كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر، وهذا بحسب اختلاف معني الحروف، فإن ظهر اختلاف الحرفين ظهر الفرق، نحو رغبت عنه ورغبت فيه، وعدلت إليه وعدلت عنه، وملت إليه وعنته، وسعيت إليه وبه، وعن تفاوت معنى الأدوات عسر الفرق، نحو قصدت إليه وله، وهديته إلى كذا وهديته لكذا، وظاهرية النحة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأما فقهاء أهل العربية فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف، ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال، فيشربون الفعل المتعدى به معناه. هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه رحمه الله تعالى، وطريقة حذاق

أصحابه، يضمنون الفعل معنى الفعل، ولا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار، تستدعي فطنة ولطافة في الذهن، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ فإنهم يضمنون يشرب معنى يروي فيعدونه بالباء التي تطلبها، فيكون في ذلك دليل على الفعلين؛ أحدهما بالتصريح به، والثاني بالتضمن والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها⁸.

والنحاة يعدون التضمن محاولة للتأول في الفعل أو الاسم، ومحاولة لإيجاد وجه يصح معه وقوع الحرف في غير موقعه وساغوه أن يعتبروه ضرورة بمقتضى صناعتهم ويتخذوه مطية للهروب من القول بالشدوذ في التعدي أو تناوب الحروف. قال أبو حيان تعليقا على قول الزمخشري في التضمنين: "وما ذكره من التضمنين لا ينقاس عند البصريين، وإنما يذهب إليه عند الضرورة، أما إذا أمكن إجراء اللفظ على مدلوله الوضعي فإنه يكون أولى"⁹.

ومع ذلك فمن قضية التضمنين تساؤل: هل التضمنين واف بالغرض من الكشف عن أسرار الحروف في نظم القرآن؟ وقبل الخوض فيه فيعرض أولا مفهومه وكيف كان رأي النحاة والبلاغيين فيه.

مفهوم التضمنين

التضمنين في مفهوم النحاة يفسره قول ابن هشام: "قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه، ويسمى ذلك تضمينا، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين"¹⁰ قال الأمير في حاشيته على المغني وهو يعترض على هذا الرأي: "قوله: يشربون لفظا معنى لفظ، ظاهر في تغاير المعنيين، فلا يشمل نحو "وقد أحسن بي" أي لطف، فإن اللطف والإحسان واحد، فالأولى أن التضمنين إلحاق مادة بأخرى لتضمنها معناها، ولو في الجملة، أعني بالتأحد أو تناسب"¹¹.

يقول الدسوقي في حاشيته على المغني: "قوله أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين، ظاهر في أن الكلمة تستعمل في حقيقتها ومجازها، ألا ترى أن الفعل من قوله تعالى: "للذين يؤلون من نسائهم" ضمن معنى يمتنعون من نسائهم بالحلف، وليس حقيقة الإيلاء إلا الحلف، فاستعماله في الامتناع من وطء المرأة إنما هو بطريق المجاز، من باب إطلاق السبب على المسبب، فقد أطلق فعل الإيلاء مرادا به ذلك المعنيان جميعا، وذلك جمع بين الحقيقة والمجاز بلا شك، وهو أي الجمع المذكور إنما يتأتى على قول الأصوليين: إن قرينة المجاز لا يشترط أن تكون مانعة"¹². ومن هنا كان منشأ الخلاف بين النحاة والبلاغيين إذ لا ترد الحقيقة والمجاز في آن واحد عند رأي البلاغيين، وهذا هو السبب في القول بأن هناك تضمينا نحويا وتضمينا بلاغيا. ولكن بالنظر إلى ما قاله ابن جني في الخصائص عندما يؤول الرفث إلى المرأة بالإفشاء إليها، ظهر للباحثة أن التضمنين يدل على التجوز في الفعل، وصرفه عن معناه الحقيقي، بقرينة الحرف الذي تعدى إليه، وليس مرادا منه كلا معنياه الحقيقي والمجازي كما ذهب إليه صاحب المغني والمتأخرون من النحاة، وإنما يستعمل الكلمة في مجازها، والتضمنين في رأيه نوع من المجاز، وفائدته هي فائدة كل مجاز.

أما التضمنين عند البلاغيين فهو من مجاز الحذف وفائدته إعطاء المعنيين أي اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي فقط، والمعنى الآخر مراد بلفظ محذوف يدل عليه ذكر ما هو من متعلقاته فيجعل المذكور

أصلاً والمخذوف حالاً مثل قوله تعالى ﴿ ولتكبروا الله على ما هداكم ﴾ أي ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم أو بالعكس فيجعل المخذوف أصلاً والمذكور مفعولاً أو حالاً مثل قوله تعالى: ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾ أي بعترفون به مؤمنين.

والظاهر أنه لا فرق بين النحلة والبلاغيين في فائدته، وهي إعطاء مجموع المعنيين، وإنما الفرق الوحيد بين النحلة والبلاغيين هو فرار البلاغيين من الجمع بين الحقيقة والمجاز إلى جعل المعنى المضمن محذوفاً مدلولاً عليه بما هو من متعلقاته مستهدين في ذلك بتأويلات الزمخشري.

قال السيوطي في معترك الأقران يعرف التضمين: "إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز"¹³، ورأت الباحثة كما رآه الحضري في استحسان هذا التعريف في التضمين¹⁴. فالتضمين عنده يكون اللفظ مستعملاً في معنى غيره لعلاقة؛ هي المناسبة في المعنى سواء كان في الأفعال أو الأسماء أو الحروف.

هناك جملة من الظواهر اللغوية يقول النحويون -عند تفسيرها- بالتضمين.

الظاهرة الأولى: تعدي الفعل بجرف لا يتعدى به عادة. والنحويون يذهبون في تفسير هذه الظاهرة مذهبين؛ أحدهما: القول بدخول حرف على حرف أي إتيان حرف بمعنى حرف، وهذا هو المذهب الكوفي، ومذهب آخر هو القول: بأن الفعل قد ضمن معنى الفعل الذي يتعدى بالحرف المذكور عادة. وقد فصل هذا ابن جني في الخصائص¹⁵.

والظاهرة الثانية: تعدي اللازم بنفسه، ومثال ذلك عندهم قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَّرْغَبُ عَنْ مَلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة: 130]. وقد خُرج تعدي (سفه) عدة تخریجات أحدها التضمين. ولذا فسّر الفعل عند أبي عبيدة بـ "أهلك نفسه وأوبقها"¹⁶، وفي الكشاف "امتعتها واستخف بها"¹⁷.

والظاهرة الثالثة: جعل المتعدي إلى مفعول واحد متعدياً إلى مفعولين، مثال ذلك، قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرَهُ ﴾ [آل عمران: 115]. جاء في الكشاف. فإن قلت: لم عدي إلى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحدة، فقول شكر النعمة وكفرها؟ قلت: ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل: فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه¹⁸.

والظاهرة الرابعة: جعل المتعدي لازماً، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فُلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ [النور: 63]، وقد عدّ أبو عبيدة (عن) زائدة¹⁹. وفسره الزمخشري على حذف مفعول من التركيب، فالأصل عنده خالفه عن أمره، قال "حذف المفعول لأن الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه"²⁰، أما عند العكبري: "الكلام محمول على المعنى، لأن معنى يخالفون يميلون ويعدلون"²¹، وقد استشهد الأشموني بهذه الآية على التضمين ومعنى يخالفون عنده "أي: يخرجون"²².

التضمين بين الحقيقة والمجاز وشروطه

قد جمع بحث التضمين في مجلة الجمع اللغوي الآراء وهي:

1. أنه مجاز مرسل، لأن اللفظ استعمل في غير معناه الحقيقي لعلاقة وقربته، وهو ما رآه ابن جني

وابن هشام.

2. أن فيه جمعا بين الحقيقة والجاز ولكن بتأويل أن الفعل المذكور في التركيب دل على معناه الحقيقي، وعلى المعنى الملحوظ بطريق اللزوم وذكر القرينة.

3. أن الفعل المذكور في التركيب مستعمل في حقيقته لا يشرب معنى غيره ولكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب، بمعونة القرينة اللفظية وهو رأي الزخشي.

4. أن اللفظ المذكور مستعمل في معناه الحقيقي ولكنه مستتبع معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل له لفظ آخر، فيكون الكلام من باب الحقيقة التي قصد منها معنى آخر يناسبها ويتبعها في الإرادة.

5. أن المعنيين مرادان على طريق الكناية - فيراد المعنى الأصلي، توصلا إلى المعنى المقصود، ولا حاجة إلى التقدير إلا لتصوير المعنى.

6. أن المعنيين مرادان على طريق عموم المجاز.

7. أنه مجاز عقلي في النسبة غير التامة - أي في النسبة بين الفعل ومتعلقاته.

8. أو نودع مستقل من أركان الكلام العربي وقسم رابع للحقيقة والمجاز.²³

فمن هذه الآراء رأيت الباحثة أن الرأي الأول هو الرأي المسلم عليه إذ بعيد عن التكلف، سائر على المعهود في هذه اللغة من التجوز، باستيفاء العلاقة والقرينة، وأداء الغرض من التجوز.

ثم إن مجمع اللغة العربية حين انتهى في بحثه إلى قياسية التضمين اشترط شروطا ثلاثة لصحة هذا القياس، وهي تحقق المناسبة بين الفعلين، ووجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر، وأن يكون هناك غرض بلاغي يهدف إليه، وتلك هي شروط كل مجاز.²⁴

يقول الأستاذ عباس حسن: "الذي ألاحظه في هذا القرار أن شروط التضمين المذكورة هي الشروط المعروفة في المجاز، حتى الشرط الثالث، فقد نص عليه القدامى لإبعاد المجاز عن القبح، وإلى المجاز ترتاح النفس، وهو رأي كثير من أئمة القدامى"²⁵. علاوة على ذلك يكون التضمين ضربا من المجاز وهو يؤدي إلى الجمال وارتياح النفس. ومع ذلك هل يستطيع التضمين اكتشاف ما وراء إثارة حروف الجر بعد الأفعال من أسرار وأغراض؟ وسنعرض للإجابة لهذا السؤال في السطور الآتية.

من أسرار بلاغية لحروف الجر في النظم القرآني

من المعروف أن البلاغة أداة أساسية من أدوات المبدع تضبط إيقاع إنشائه، وتصفي تفكيره وتعبيره من أسباب الخلل والقصور، كما أنها أداة رئيسية من أدوات الناقد تبصر وتضي وتتيح حسن النظر ودقة الحكم، لكن للبلاغة مع هذا وظيفة أساسية ترتبط بالجدور الأولى وهي التعرف على أسرار الإعجاز، والبحث عما يميز التعبير والنظم القرآني.

محاولة إلى اكتشاف الجمال من تعدي الفعل بحرف لا يتعدى به عادة أي إثارة حروف الجر على خلاف مقتضى الظاهر تتذوق الباحثة من خلال آي القرآن الكريم بنظمه البليغ ورونق أسلوبه ودقة اختيار ألفاظه. وسنبحث هنا أفعال الخلوة والإحسان والمشي والفعل.

1. بين خلا بـ و خلا إلى

من بديع نظمه، قوله تعالى في وصف المنافقين اليهود: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ ۚ عِنْدَ رَبِّكُمْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 76]

من المفروض أن يتعدى "خلا" بالباء، فيقال: خلا به، إذا انفرد به، وفي هذه الآية تعدى بحرف "إلى". قيل إن "إلى" بمعنى "مع" أي وإذا خلا بعضهم مع بعض، ولكن أبو حيان يرى: أن الأجود تضمين "خلا" معنى فعل يعدى بـ "إلى"، أي انضوى إلى بعض أو استكان²⁶. وقرق الراغب بين التعبير "خلا به" وبين "خلا إلى" بقوله: "وخلا فلان بفلان: صار معه في خلاء، وخلا إليه: انتهى إليه في خلوة"²⁷. لذلك عندما تتذوق الآية تجد أن فيها سرا من إثارة حرف "إلى" غير تضمين الحروف أو تضمين الفعل وهو ما يتضح من المقابلة بين قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ وبين قوله ﴿ وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ حيث عبر في جانب المؤمنين باللقاء، ليدل على أن لقاءهم بهم كان عرضا ومصادفة، وإن ادعاءهم الإيمان كان أشبه بجواز مرور وصولا إلى غايتهم في الانفراد برفاقهم، وحضور اجتماعات منظمة، وتجميع صفوفهم لرسم سياساتهم بصورة سرية بعيدا عن أعين المؤمنين وذلك يدل على أنهم لم يتلاموا على ادعائهم الإيمان، وكان ذلك أمر متفق عليه بينهم لتضليل المؤمنين، فحرف الانتهاء "إلى" هنا يشير إلى أنهم كانوا ماضين إلى غايتهم في لقاء يضمهم مع أبناء ملتهم للتشاور والکید للمسلمين - وما كان لقاءهم بالمؤمنين إلا عرضا وتمويهها، لا غاية وهدفا.

2. بين أحسن إلى وأحسن بـ

وعلى العكس من هذه الآية هو إثارة حرف الباء مكان حرف إلى، يتعدى فعل الإحسان بـ "إلى" وتعدى بالباء في القرآن، فحمل بعض النحاة والمفسرين تعديته بالباء على تعديته بـ "إلى"، ذاهبين إلى أن الأصل في تعدي هذا الفعل هو حرف الغاية، ومن ثم قالوا بأن الباء بمعنى إلى، ومن لم يرق له القول بنبابة حرف الإلصاق عن حرف الغاية لجأ إلى تضمين فعل الإحسان معنى اللطف لتصح تعديته بالباء.

ولا داعي في أن تعدية فعل الإحسان بلى هو الأصل إذ لم يرد في القرآن معدي بلى إلا في مرة واحدة، هي قوله تعالى حديثا عن قارون في خطاب قومه له: ﴿ وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الْدَارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَسْرِ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: 77]، وورد خمس مرات معدي بالباء مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَلًا فُجُورًا ﴾ [النساء: 36]، وورد في آيتين معدي باللام مثل قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق: 11]. فلحقيقة أن فعل الإحسان في القرآن يتعدى بـ "إلى" والباء واللام، ولكل تعدية موضعها وقرنها وسرها. وذكر المرحوم رشيد رضا في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

قال: "يقال: أحسن به وأحسن له، وأحسن إليه، وقيل إذا تعدى الإحسان بالياء يكون متضمنا لمعنى العطف، وعندى أن التعدية بالياء أبلغ، لإشعارها بالصاق الإحسان بمن يوجه إليه، من غير إشعار بالفرق بينه وبين المحسن، والتعدية بـ "إلى" تشعر بطرفين متباعدين يصل الإحسان من أحدهما إلى الآخر" 28.

انطلاقاً من هذا المعنى نشعر بجمال دقة التعبير القرآني حين عدى الإحسان بـ "إلى" عندما تحدث عن قارون لتصوير بُعد قارون عن ربه، وأن إحسان الله إليه ليس مصحوباً بمعية الله تعالى وحبه وإنما هو من قبيل الاستدراج لا من قبيل الإكرام، فقال الله تعالى: ﴿ أَحْسَنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ 29، بخلاف تعبيره بالياء عندما تحدث عن إحسان الله بيوسف في قوله: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: 100] أنه تعالى لم يقصد به مجرد إيصال الإحسان إليه وإنهائه، بل قصد من إحسان الله تعالى أنه صحبه في رحلة حياته كلها، ولم يفارقه لحظة من لحظاته وهو نشعر من معنى الباء بما فيها من الإلصاق والمصاحبة. ومثل ذلك عندما يتحدث عن إحسان الأبناء بالديه فأثر التعدية بالياء للدلالة على المصاحبة والإلصاق. وعند قوله: ﴿ إِنَّ أَحْسَنُكُمْ أَحْسَنُكُمْ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: 7] قصد به بيان غنى الله تعالى عن إحسان خلقه، فهو لا ينتفع بطاعة كما لا تضره معصية، فإحسان المرء لا يجني ثمرته غيره، ولا ينتفع بنتائجه سواء، ومن ثم جاءت اللام للدلالة على اختصاص المحسن بإحسانه.

3. بين مشى في و مشى على

ومن دقيق ما جاء في النظم القرآني استخدام "في" مكان "على" قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: 37]

يكون المخاطب في هذه الآية هو مغرور منتفح الأوداج يضرب الأرض بقدميه اختيلاً وتكبراً فنهى الله سبحانه عن ذلك ولكن لم يكنف القرآن بنهيه عن المشي اختيلاً وتكبراً، ومعلوم أن المشي المعتاد لا يكون على غير الأرض ولكن في هذه الآية يكون المشي يعدى بـ "في" التي تدل على الظرفية للدلالة على شدة ضربه في الأرض ومبالغته في وطنها، شأن من يظن أنه قادر على خرقها ومع ذلك نفي القرآن عن قدرة خرقها بـ "لن" للدلالة على نفيه إلى الأبد، وذلك تجسيد إلى أي حد بلغ اغتراره بقوته وتمكنه من دنياه.

ولما أراد القرآن تصوير مشي عباد الرحمن المؤمنين استخدم حرف "على" في تعديده فعل المشي فيقول: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: 63].

يرى من هذه الآية كيف دل حرف الاستعلاء "على" على تواضع المؤمنين، وإفلاهم عن الدنيا، وزهدهم فيها، وكيف يمشون برفق على هذه الأرض حتى لا تكاد تلمسها أقدامهم، وكأنهم يمشون بين قوم نيام، يخشون إيقافهم. قال الزركشي يفرق بين "في" و"على" في هذين الموضعين: "وقال: عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وقال: ولا تمش في الأرض مرحا، وما قال على الأرض وذلك لما

وصف العباد أنهم لم يوطنوا أنفسهم في الدنيا، وإنما هم عليها مستوقرون، ولما أرشده ونهاه عن فعل التبختر قال: ولا تمس في الأرض مرحا، بل امش عليها هونا³⁰.

٤. بين فعل ب وفعل من

ومن بليغ النظم الكريم ورائع إعجازه في وضع الحرف موضعه المناسب الأليق قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: 234]

فأتى بحرف الإلصاق في قوله "بالمعروف" ثم جاء بـ "من" في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۖ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 240]

فما السر في التعبير بالباء في الآية الأولى و(من) في الآية الثانية؟ لما كان الحديث في الآية الأولى خاصا بحقهن في الزواج بعد انقضاء العدة خص ما يفعلنه في أنفسهن بالأمر المتعارف عليه والذي أباحه الشرع وهو الزواج، وعدها بحرف الإلصاق دليلا على وجوب الالتزام بشرع الله واستصحابه فيما فرض لهن.

وعندما كان الحديث عن عموم حقوق المرأة المتوفى عنها زوجها بعد انقضاء العدة، وتمتعها بحقها في بيت الزوجية وخروجها منه. والزواج واحد من أمور كثيرة مباحة للمرأة مما شرع الله من حقوق جاء حرف التبعية "من" مع تنكير "معروف" للدلالة على أن الزواج أحد هذه الحقوق التي لا تمنع فيها³¹.

هذا ما فسره وكشف عنه الاسكافي في كتابه درة التنزيل يقول: "إن الأول تعلق بقوله: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ" أي لا جناح عليكم في أن يفعلن في أنفسهن بأمر الله، وهو ما أباحه الله لهن من التزوج بعد انقضاء العدة، فالمعروف هنا أمر الله المشهور، وهو فعله وشرعه وبعث عليه عباده. والثاني المراد به فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من جملة الأفعال التي لهن أن يفعلن من تزوج أو قعود، فالمعروف ها هنا فعل من أفعالهن، يعرف في الدين جوازه، وهو بعض ما لهن أن يفعلنه ولهذا المعنى خص بلفظه (من) ونكر، فجاء المعروف في الأول معرف اللفظ لما أشرت إليه، وهو أن يفعلن في أنفسهن بالوجه المعروف المشهور الذي أباح الشرع من ذلك، وهو الوجه الذي دل الله عليه وأبانه فعرف إذا كان معرفة مقصودا نحوه، وكذلك خص بالباء وهي للإلصاق، والثاني كان وجهها من الوجوه التي لهن أن يأتينه فأخرج مخرج النكرة لذلك³².

يظهر من هذه الرحلة العلمية الممتعة من خلال آي القرآن العزيز أن من إيتار الحرف من حروف الجر في وصلها بالأفعال أسرار وأغراض ليست للتضمين قدرة وافية في اكتشاف ما وراءها من أسرار التعبير، فلكل حرف موضعها الأليق ولكل مقام مقال.

إن التضمين هو إشراب لفظ معنى آخر أو إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه، وهو نوع من المجاز لعلاقة مع قرينة. نظرا في النظم القرآني وما قاله المفسرون عن التضمين فإنه لم يكن للتضمين قدرة وافية في اكتشاف ما وراء التعبير من أسرار وأغراض، فلكل حرف مكانها الأليق وبكل مقام مقال.

الهوامش

1. محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، القاهرة: مكتبة وهبة، دت، ص34.
2. المرادي، الجني الداني في حروف المعاني، بيروت: دار الأفاق الحديثة، 1973، ص19.
3. الراغب الأصبهاني، المفردات، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، دت، ص198.
4. الزمخشري، الكشف، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، دت، ج2، ص220.
5. ابن جني، الخصائص، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، دت، ج2، ص306.
6. المرجع السابق، ص308/2.
7. الزمخشري، الكشف، ج1، ص338.
8. ابن القيم، بدائع الفوائد، بيروت: دار الكتاب العربي، دت، ج2، ص210.
9. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، القاهرة: مطبعة السعادة، 1338هـ، ج6، ص119.
10. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، دت، ج2، ص193.
11. الأمير، حاشية الأمير على المغني، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، دت، ج2، ص193.
12. الدسوقي، حاشية الدسوقي على المغني، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، دت، ج2، ص305.
13. السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، بيروت: دار الفكر العربي، 1969، ج1، ص398.
14. محمد الأمين الخضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، القاهرة: مكتبة وهبة، 1989، ص46.
15. ابن جني، الخصائص، ج2، ص308.
16. أبو عبيدة، مجاز القرآن، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني، ج1، ص110.
17. الزمخشري، الكشف، ج1، ص312.
18. المرجع السابق، ج1، ص456.
19. أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج2، ص85.
20. الزمخشري، الكشف، ج3، ص79.
21. العكبري، التبيان في إعراب القرآن، المكتبة الشاملة الإصدار الثاني، ج2، ص160.
22. الأشوني، منهاج السالك إلى ألفية ابن مالك، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، دت، ج1، ص199.
23. أحمد الإسكندري، مجلة الجمع الملكي، 1935، عدد1، ص187-189.
24. المرجع السابق، ص195.
25. عباس حسن، النحو الوافي، القاهرة: دار المعارف، 1963، ج2، ص463.
26. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، بيروت: دار الكتب العلمية، 2001، ج1، ص440.
27. الراغب الأصبهاني، المفردات، ص226.
28. رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، بيروت: دار المعرفة، دت، ج5، ص840.

29. محمد الأمين الخضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص200.
30. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، دت، ج4، ص176.
31. محمد الأمين الخضري، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، ص353.
32. الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، بيروت: دار الآفاق الحديثة، 1977، ص52-53.

AL-ZAHRĀ'

JOURNAL FOR ISLAMIC AND ARABIC STUDIES

In This Issue

● Ways to Advancement of the Islamic Nation in the Holy Quran

● Resource of Received Knowledge upon the Contemporary Imamiyyah Shia and Its Correlation with the Classical Scholars

● Domestic Violence and Its treatment in the Holy Quran

● *Tadmīn* in the Quranic Versification. "Literature Study on the Secrets of Letter Jar"

● Peaceful Settlement of International Disputes in the International Law and Islamic Law

● Role of Zakat in Economic Development

● Abū Bakr ibn Abī Shaibah (235 H) as a Figure on the Field of Hadith